ورقة بحثية بعنوان
انجازات العلماء المسلمين في خدمة البشرية
الصناعات الاسلامية انموذجا
د.اسراء مؤيد رشيد/جامعة بغداد-كلية التربية-قسم علوم القرآن

كثيراً ما يحتفل التاريخ ويحفل بإنجازات الغرب العظيمة في شتّى العلوم والمعارف، وكثيراً ما يتغنّى بأسماء الفلاسفة والمفكرين الذين ينتشر ذكرهم في كل مكان، الذين لا يكاد يوجد أحدٌ إلا وقد عرف بسيرة حياتهم وسمع إنجازاتهم، وإن لم يكن يعرف إنجازاتهم، إلا أنه قد سمع بإسمهم ورُسِخ في ذاكرته بأن هذا الإسم هو لعالم فذٍ عظيم قد أنار بعلمه عصوراً من الظلام وبنى بفكره بنياناً من العلم مثل: ماري كوري، وجاليلو جاليلي، وأينشتاين، وأرسطو ونيوتين وغيرهم الكثير.

وصلَ صيت هؤلاء العلماء إلى كل مكان وأخذوا حقهم في ذِكر بحوثاتهم وفي جعلهم مفخرة للأمم، وكنّا نحن الشعوب العربية من الأوائل الذين دعمنا هذه الأعمال وعظمناها، ولم نتوقف هنا بل سعينا إلى إدخالهم إلى مناهجنا وكتب أولادنا وأعطيناهم الأولوية ليعرفوا من هم، ونسينا أنَّ تاريخنا العربيّ والإسلاميّ يزخر بالعلماء والمفكرين الذين قد يكونوا سبقوا هؤلاء العلماء بإنجازاتهم، وحتى أن بعض علماء الغرب قد إستندوا في دراساتهم على أبحاث العلماء المسلمين.

لم يكن تاريخنا يوماً يفتقر إلى العلم والعلماء، وعصور الظلام التي تحدثت عنها أوروبا كانت هي عصور النور والمعرفة على الحضارة الإسلامية، ففي الوقت الذي عانت فيه أوروبا من

النزاعات الداخلية والصراعات كانت الحضارات العربية الإسلامية تبني المكتبات وتؤلف المؤلفات الطبيّة والعلميّة والهندسيّة التي سرقها الغرب لاحقاً أو أكلتها نيران الحقد والكره ضدهم. لم نكن مثل الغرب منصفين في حقِّ مفكرينا، بل سعينا إلى تمجيد غيرهم متناسين فضلهم على حياتنا اليوم، فالذي لا ندريه أنَّ علماءَنا هم من وضعوا أسس الهندسة وأسس الطب، ومنهم من فسّر كيف نرى، وكيف ممكن أن نطير ولولاهم لما عرفنا اليوم البوصلة.

ولكن ولأن ما أنجزوه عظيمٌ جداً، هناك من دفعت به الحميّة للبحث عنهم وإظهار الحقيقة للناس، وهي أنّ لنا تاريخٌ مشرّف، تاريخٌ قامت عليه حضارات العالم قديماً وحديثاً، فراينا من المنصف ان نلقي الضوء على هذة الانجازات الرائعة من خلال هذة الحلقة النقاشية التي سعت لإظهار العلماء المسلمين إلى النور ليراهم الناس بوجههم الحقيقي الذي ظلمه التاريخ والذي سعى البعض عمداً لمحو اسمهم؛ لإظهار أنه لا حضارة للعرب ولا للمسلمين، ولما كانت تلك الانجازات كثيرة ومتعددة ولا يمكن حصرها او الالمام بها من خلال هذه الورقة عمدت الى ان اتكلم عن جانب منها ليكون دليلا على غيرها من الانجازات وهي

الصناعات الإسلامية التي كان لها اثرها الفاعل في خدمة البشرية عامة واوربا خاصة . فكان من الصناعات صناعة الورق التي كان للمسلمين الفضل في نشرها على مستوى العالم آنذاك فلولا الورق الإسلامي حسب توصيف بعض العلماء لما تقدمت العلوم ولا نشطت حركة التدوين ولولاها لما دارت مطابع أوروبا ابتداء من القرن الخامس عشر.

وأدى ذلك بشكل عام إلى توسع العلم بصورة عامة لسهولة الحصول على الكتاب بسبب توفر الورق الصالح للكتابة، كما استتبع ذلك تطوير للخط العربي القديم الذي كان يكتب على الرقاق بهيئة غير متكلفة خالية من الجمال والإتقان.

ومن الصناعات ايضا صناعة الأسلحة النارية والباردوية الذي يعد تطويرها على يد المسلمين أعظم أنجاز علمي عسكري وصلت إليه الأمة. و أنه لولا الأسلحة النارية التي طور المسلمون ذخائرها ومدافعها في العصور الوسطى لما ظهرت القنبلة الذرية في العصر الحديث.

ويمكن ان نستشهد بمقولة لفرنسيين هما رينو وفافيه يقولان فيها أن العرب هم الذين استخرجوا قوة البارود الدافعة أي أن العرب هم الذين استخرجوا الأسلحة النارية.ولأن هذه الصناعة ظهرت على يد مسلمي الأندلس في أواخر الحكم الإسلامي لجنوبها في مملكة غرناطة فإنها سرعان ما تسربت إلى الشمال الأسباني ثم إلى جنوب فرنسا وألمانيا.

وفي الإطار نفسه يمكن ان نشير الى ان المسلمين برعوا ايضافي تركيب الادوية من عناصر كيميائية مثل الزئبق وغيره كما أدخلوا ولأول مرة السكر في تركيب الدواء المر لتحليته خاصة عندما يوصف ذلك الدواء للأطفال كما اكتشف الطبيب ابن جزلة في كتابه «المنهاج» فائدة زهر حجر أسيوس أو ملح البارود البحري في تركيب الكحل علاجا يقوي البصر ويجلو العين ويذهب بسحابة القرنية.

كما نتطرق إلى دور المسلمين في صناعة الزجاج حيث توصلوا إلى استخراجه من الحجارة «الرمل» وتنسب أسبقية هذه الصناعة إلى عباس بن فرناس من علماء الأندلس وكان الزجاج

يستخرج بصهر الرمل بعد إضافة «البورق» و«النطرون» وهو الصودا الكاوية وذلك عن طريق التشميع وهو تذويب للمادة لتسهيل بعض العمليات الكيميائية عليها.

وفي نهاية هذه الورقة يحق لنا أن نتيه فخرا على البشرية بهذا الدين العظيم الذي جعلنا خير امة أخرجت للناس وأن نفخر بذلك الإسهام الرائع لرجال التاريخ الإسلامي الذين حملوا هذا الدين سلوكا وعبادة علما وعملا فخرج منهم علماء أفذاذ أناروا للبشرية ظلامها الدامس بعلومهم واكتشافاتهم وانجازاتهم وصناعاتهم التي رأينا أثرها على مسيرة الحضارة البشرية.

و انطلاقا من هذا التناول فقد لا يكون من المغالاة الإشارة إلى أننا في عصرنا هذا لا نزال نعيش بترف الحضارة الإسلامية الذي صنعته لنا في مجالات مهمة كالعلوم والصناعات والأجهزة والأهم من ذلك فيما أخرجته إلى البشرية من منهج تجريبي علمي رصين فتعلمت تلك البشرية خلاله كيف تصل إلى الحقيقة العلمية ثقة واقتدار بعيدا عن الظنون والأوهام والأهواء.

وهنا فإنه يمكن القاء بجانب من اللوم على أبناء الأمة مشيرين إلى أنه اذا كنا نعاني، الأمرين من تجاهل الغرب لدورنا الحضاري التليد ، لما نمر به من ضعف مادي وهزيمة نفسية ، فالذي أشد منه مرارة عقوق أبناء المسلمين لتاريخهم وضعف الغيرة في قلوبهم على دينهم وحضاراتهم والجهل المطبق بعظم الدور الذي لعبه العقل المسلم في بناء الحضارة الإنسانية في نفس الوقت الذي يسعى فيه اولئك الأبناء لاهثين خلف ثقافة الغرب ولغته وعاداته وتقاليده

بينما لا يشعر هؤلاء، أن ما يحيا به الغرب اليوم من تقدم وزدهار سببه حضارة الإسلام وعلماؤها.

إعداد

ا.م.د / اسراء مؤيد رشيد